العرب
الثلاثاء 2021/03/30
السنة 43 العدد 12015

لماذا بقيت روسيا معضلة الولايات المتحدة ماضيا ومستقبلا؟

رغم أن نجاح الرئيس فلاديمير بوتين في تغيير روسيا وجعلها لاعبا رئيسيا على الساحة الدولية، في غضون عدة سنوات، قد أزعج الغرب عموما والولايات المتحدة بشكل خاص، فإن المحللين يقفون على النقيض من ذلك تماما حيث تتشكل لديهم حقيقة مفادها أنه لا يجب استنقاص إمكانات الروس وتجاهل قدرتهم على رسم الخارطة الجيوسياسية في العالم.

واشنطن - تظل الخلافات القائمة بين روسيا والغرب مشكلة تؤرق كلا الجانبين، نتيجة التباين في المصالح تارة، والصراع على النفوذ تارة أخرى، فبينما تتمثل استراتيجية الروس في ظل الرئيس فلاديمير بوتين في استعادة حدود الاتحاد السوفييتي القديم ومناطق الظل الخاصة بهم بشكل ما، يسعى الغربيون إلى ثنيهم عن ذلك.

وتسير العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا تحديدا، على نفس القدر من السوء، الذي كانت عليه في آخر سنوات الحرب الباردة، أي أثناء رئاسة ليونيد بريجنيف والولاية الأولى لإدارة الرئيس الراحل رونالد ريغان، وهو الوقت الذي اعتقد فيه الكثير من الأميركيين والأوروبيين بأن خطر حدوث المزيد من التدهور أو حتى الحرب كانت حقيقية.

روبرت كابلان

الغرب يخدع نفسه بالنظر إلى روسيا على أنها قوة متدهورة

واليوم، يعتبر الرئيس جو بايدن من أكثر المناهضين لبوتين، فقد كان مكلفا من طرف الرئيس الأسبق باراك أوباما بمفاوضة الكونغرس لتمرير معاهدة "ستارت" جديدة لخفض الرؤوس النووية بين البلدين، بمعنى أنه كان معنيا بشكل مباشر بالتعامل مع الرئيس الروسي.

والعلاقات الشخصية بين بايدن وبوتين، والتي توترت خلال الفترة الأخيرة بعد تصريحات الرئيس الأميركي التي هاجم فيها الرئيس الروسي، شبيهة بالعلاقة بين أوباما وبوتين، وهي علاقة كانت تخلو من الثقة المتبادلة.

ونظرا لأن الخلافات ستكون عملية طويلة، ودون فائز واضح، فإن روبرت كابلان الخبير بمعهد أبحاث السياسة الخارجية في الولايات المتحدة يعتقد أن للدبلوماسية والتسوية دورا مهما، لأنه حتى في ظل وجود نظام روسي أكثر ليبرالية، ستظل موسكو لديها مصلحة ذاتية في توسيع نفوذها خارج مناطقها الحدودية.

ويشرح كابلان في تحليل نشرته مجلة "ناشونال إنتريست" الأميركية، بالقول إن "كفاح الغرب وإحباطاته وإخفاقاته وأحلامه في ما يتعلق بروسيا جزء من قصة قديمة، وإنها ستستمر في المستقبل".

ويدلل دخول روسيا إلى الشرق الأوسط على قوة عظمى صاعدة، وليست منحدرة، كما أن تعامل ألمانيا مع روسيا وخاصة إذا ما تعلق الأمر بمشروع "نورد ستريم 2"، الذي تحاول واشنطن عرقلته يعطي بعدا إضافيا على ذلك.

وقد افترض الأميركيون ذات مرة أن تورط موسكو العسكري في سوريا سيكون بمثابة عقاب لها بنفس الطريقة التي يعاقب العراق الأميركيين. لكن الروس تعلموا درسا مختلفا مفاده عدم الدفع بأعداد كبيرة من القوات البرية بحيث يكون ثمن المغامرة العسكرية في هذا العالم منخفضا للغاية في الواقع، وهو أمر يمكن تطبيقه بشكل مفيد في التدخلات المستقبلية.

ويعتقد المحلل الأميركي أن قدرة روسيا على تشكيل "عالمنا الجيوسياسي" ليست جديدة فقد كانت هزيمة روسيا على يد القيصرية الألمانية، هي التي عجّلت بالثورة الروسية، التي غيّرت في المقابل القرن العشرين بشكل جذري. وأدى انتصار الاتحاد السوفييتي في ستالينغراد عام 1943 في النهاية إلى هزيمة هتلر وانقسام أوروبا في إطار الحرب الباردة.

ونتيجة ذلك، شكل الاتحاد السوفييتي عنصرا أساسيا فيما آلت إليه نتائج الحرب العالمية الثانية بدرجة لم تصل إليها الولايات المتحدة. وقال كابلان "لقد كان الانهيار الداخلي للاتحاد السوفييتي هو الذي وصل بالحرب الباردة إلى نهاية مظفرة للغرب".

وكان فشل الغرب في تسعينات القرن الماضي في إعادة تشكيل روسيا المهزومة بقوة على شاكلته من الناحيتين السياسية والاقتصادية، وهو إخفاق يعادل في نطاقه فشل نابليون، هو الذي أدى مباشرة إلى وجود نظام بوتين الاستبدادي الانتقامي.

ومن هنا تشكل انطباع لدى كابلان بأن روسيا أثبتت دائما أنها جسر بعيد للغاية عما يصممه الغرب الحديث، وهذه نقطة يرى أنه لا بد من قبولها، فإدانة بوتين بسبب انتهاكاته لحقوق الإنسان هي مجرد أسلوب لبق، لكنه لن يبدد القلق في ما يتعلق بمواجهة معضلة روسيا الأبدية.

وتبدو الحقيقة المؤلمة أنه لا يجب ردع بوتين وإدانته أخلاقيا فقط، بل يجب الانخراط معه أيضا، لأن فرص تغيير نظامه على النمط الغربي شبيه بإعادة تشكيل روسيا في التسعينات، أو قيام نابليون أو هتلر بإضافة روسيا إلى إمبراطوريتهما.

وتتشابك روسيا مع أبرز الجهات الفاعلة على المستوى الجيوسياسي في العالم، فهي مهمة لألمانيا أيضا، أقوى دول الاتحاد الأوروبي، ويتضح ذلك من خلال حرص ألمان على استكمال خط أنابيب الغاز الطبيعي "نورد ستريم 2".

وليس بالضرورة أن يشكل المشروع أمرا حيويا للاقتصاد الألماني، حيث يمكن للألمان، إذا لزم الأمر، الحصول على الغاز من شبكة خطوط الأنابيب الناشئة بالبحر المتوسط وأيضا من أميركا الشمالية عن طريق محطات تحويل الغاز، بل يرغبون في ذلك لأنه سيزودهم بإمدادات طاقة رخيصة ومباشرة نسبيا ويثبّت علاقتهم السياسية مع روسيا، البلد الذي يعتبرونه أكبر من أن يتغير أو يهزم.

وقد وصل الألمان إلى صيغة للتعامل مع روسيا، حيث قاموا بما في وسعهم لدعم المعارض الروسي أليكسي نافالني ضد بوتين، لكن دون إلغاء مشروع "نورد ستريم 2"، وهذه استراتيجية يمكن لبوتين التعايش معها.

ويدرك الألمان أن هناك حدودا لما يمكن تحقيقه مع موسكو، حتى وهم يعرفون أنهم لا يواجهون تهديدا عسكريا من ناحيتها. ويشير كابلان إلى أن السلوك الألماني يعكس الواقع المأساوي الأساسي للعالم، وهو الاعتراف العلني بحقوق الإنسان، والمدعوم بسياسة واقعية غير معلنة وقاسية.

تقارب لا يحل مشاكل المنطقة

إشارات صينية للعب أدوار كبرى في الشرق الأوسط

إيجاد أرضية سياسية مشتركة بين الخصوم الإقليميين مهمة صعبة

أظهرت الصين في الآونة الأخيرة إصرارا على مزاحمة الولايات المتحدة في دورها في الشرق الأوسط من خلال تبني استراتيجية تحوّلها إلى «حلّال المشاكل» لكي تضعها في موقع أكثر حيوية استنادا إلى علاقات وطيدة مع قطبي الصراع في المنطقة وهما السعودية وإيران، وكذلك من خلال علاقاتها مع باقي دول الخليج الوازنة إضافة إلى إسرائيل على الرغم من أن بكين تعي جيدا أن الأمر لن يكون سهلا.

واشنطن - ترسل مبادرتان تتبناهما الصين وبدأت مساعيها من أجل ترجمتها على أرض الواقع إشارة بأنها ربما تستعد للعب دور سياسي أكبر في الشرق الأوسط، في مسعى إلى إظهار قدرتها الدبلوماسية على أنها لاعب فاعل على الساحة الدولية وبإمكانها القيام بدور أفضل ممّا تتبعه الولايات المتحدة.

وخلال جولة في المنطقة الأسبوع الماضي وضع وزير الخارجية الصيني وانغ يي خمسة مبادئ تحتاج دول الشرق الأوسط إلى تبنيها لتحقيق قدر من الاستقرار الإقليمي، في ظل التوترات التي أوجدتها إيران وتسببت في إثارة الفوضى وأقلقت أمن دول الخليج وفي مقدمتها السعودية.

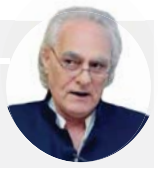

جيمس دورسي

الصينيون يرون أن بإمكانهم إدارة أزمات المنطقة وليس حلها

ودعا يي الخصوم في المنطقة، في إشارة إلى السعودية وإيران، إلى "احترام بعضهم البعض، ودعم مبادئ الإنصاف والعدالة وعدم السماح بانتشار الأسلحة النووية، وتعزيز الأمن الجماعي بشكل مشترك، وتسريع التعاون الإنمائي".

وكان السفير الصيني لدى السعودية، تشين وي تشينغ قد قال إن بلاده التي تركز على أمن دول الخليج العربي وصراعها مع إيران والنزاع الفلسطيني – الإسرائيلي "مستعدة للعب دورها الواجب في تعزيز السلام والاستقرار طويل المدى في الشرق الأوسط".

وفي ضوء هذه المعطيات، يسعى المحللون إلى فهم أكبر لحدود وطبيعة التحركات الصينية، وهل بالإمكان أن تنجح في إخراج التوتر المستمر في الشرق الأوسط من عنق الزجاجة؟

التزام محفوف بالمخاطر

قبل مغادرته إلى الشرق الأوسط، لم يخف يي التزام بلاده بحل المشاكل في المنطقة، حين قال إن "الصين مستعدة لاستضافة حوار أمني خليجي متعدد الأطراف يركز في البداية على تأمين المنشآت النفطية والممرات الملاحية".

ومع ذلك، يرجح جيمس دورسي الخبير في قضايا الشرق الأوسط والأدنى أن تجد الصين أن الحفاظ على علاقات جيدة مع جميع الأطراف سيعمل بشكل جيد طالما أن هذه العلاقات تركز على الاقتصاد.

ويؤكد دورسي أنه، على الرغم من ذلك قد تزداد هذه المهمة صعوبة بعد توقيع يي ونظيره الإيراني محمد جواد ظريف في طهران اتفاقية تعاون سياسي واقتصادي واستراتيجي بين البلدين السبت الماضي، لمدة ربع قرن وعلاوة على ذلك، قد يكون من الصعب أيضا إيجاد أرضية سياسية مشتركة بين الخصوم الإقليميين.

ويهدف المشروع إلى توسيع النفوذ الاقتصادي والسياسي للصين بشكل كبير، وهو ما أثار مخاوف في الولايات المتحدة. وكثيرا ما تنتقد الصين العقوبات الأميركية على إيران واعترضت عليها جزئيا. وقد وصف ظريف الصين بأنها "صديقة الأوقات الصعبة".

وقد ألمحت السعودية قبل ذلك إلى أنها لا تهتم كثيرا بتبني عملية تدريجية من شأنها أن تسمح لإيران ومنتقديها بتناول النتائج لمعالجتها حتى قبل تناول القضايا الشائكة، على الرغم من التلميحات الصينية في الأشهر الأخيرة بأنها ستتدخل بشرط أن تتبنى دول الشرق الأوسط مبادئها.

وتعد السعودية الدولة الخليجية الوحيدة التي امتنعت العام الماضي عن تقديم مساعدات إنسانية لإيران، الدولة الأكثر تضررا من الوباء في المنطقة.

وعلى نفس المنوال، من المستبعد أن تستقبل إيران بصدر رحب تأكيدات وزير الخارجية الصيني خلال زيارته للرياض بأن بكين تدعم القيادة الإقليمية السعودية حتى لو لم تعبر عن رأيها هذا بشكل علني لتجنب المخاطرة بتعاونها الوثيق مع الصين.

ويقول دورسي، زميل أول في كلية راجاراتنام للدراسات الدولية بجامعة نانيانغ التكنولوجية في سنغافورة، إنه من خلال إقرار هذه المبادئ، ترى الصين إمكانية إدارتها لصراعات الشرق الأوسط وليس حلها والانغماس فيها.

اللعب على وتر المخاوف

تهدف المبادرات الصينية إلى استغلال المخاوف، التي تسيطر على كل من السعودية والإمارات وإسرائيل من أن جهود الرئيس الأميركي جو بايدن للتفاوض بشأن عودة الاتفاقية النووية، التي حدّت من البرنامج النووي الإيراني لن تعالج مخاوفهم على الفور.

وتريد دول الشرق الأوسط أن يتضمن أي اتفاق أيضا فرض قيود على برنامج إيران للصواريخ البالستية بالإضافة إلى إنهاء دعمها للميليشيات التي تأتمر بأمرها في العراق وسوريا وأذرعها المتمثلة خاصة بحزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن.

لكن دول الخليج لا تمتلك ثقة كبيرة في اقتراح إدارة بايدن بأن إحياء الاتفاق النووي، الذي انسحب منه الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب في عام 2018، سيخلق الأساس لعقد المفاوضات بشأن القضايا غير النووية.

وتهدف المبادرات الصينية أيضا إلى تلبية مخاوف الشرق الأوسط في الوقت الذي تدخل فيه الصين والدول الغربية في مواجهة بشأن انتقادات الغرب للقمع الوحشي الذي تشنه بكين على المسلمين الأويغور في مقاطعة شينجيانغ الشمالية الغربية.

وحاولت أطراف إلصاق التهم بكل من السعودية والإمارات على أنهما سعيا إلى إضفاء الشرعية على حملة الصين القمعية، التي تهدف إلى إجبار الأويغور في تلك المنطقة على انتهاك الشريعة الإسلامية، من خلال وصفها بأنها "معركة مشروعة ضد التطرف والإسلام السياسي".

وحسب رأي بعض المحللين فإن الدعم السعودي والإماراتي المزعوم لحملة القمع الصينية ضد الأويغور يتناسب مع مساعي القوة الناعمة الدينية للدولتين، والتي تنشر مفهوما للإسلام "المعتدل" يتمحور حول مبدأ الطاعة المطلقة للحاكم ونبذ تيارات الإسلام السياسي.

ومع ذلك، من المرجح أن تكون زيارة وانغ لإيران قد أطلقت أجراس الإنذار في الرياض، حيث يمكن للصين، التي لا تكترث كثيرا بشأن تعارضها مع العقوبات الأميركية على إيران في ظل تراجع العلاقات الصينية الأميركية، أن تساعد بشكل كبير طهران على تخفيف تأثير العقوبات المفروضة عليها من قبل واشنطن، وتمكن ملاحظة هذا بوضوح من خلال ارتفاع واردات الصين من النفط الإيراني الخاضع للعقوبات في الأشهر الأخيرة.

وتم الإعلان عن القليل من تفاصيل الاتفاقية الصينية الإيرانية التي تبلغ قيمتها 400 مليار دولار، لكنها تحمل وعودا بالاستثمار الصيني في مجالات البنية التحتية الإيرانية والطاقة والتعدين والصناعة والزراعة. كما تشمل إنشاء مناطق تجارة حرة وتطوير تكنولوجيا الجيل الخامس، وتعزيز التعاون العسكري بين الدولتين في المنطقة، في محاولة لمواجهة هيمنة واشنطن التقليدية.

> **الصين تجد أن الحفاظ على علاقات جيدة مع جميع الأطراف في المنطقة سيعمل بشكل جيد طالما أنها تركز على الاقتصاد**

ولن يكون الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي بعيدا عن اهتمام الصين، فقد قال يي عشية جولته في الشرق الأوسط إنه سيدعو الطرفين إلى بكين لإجراء محادثات. وعلق على ما تنوي الصين فعله عندما تتولى رئاسة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في شهر مايو المقبل، مدافعا عن قرار من شأنه أن يعيد التأكيد على مبدأ حل الدولتين.

وبالنسبة إلى هذه الخطوة، يعتقد دورسي أن هناك احتمالا ضئيلا بأن تكون المبادرة الصينية أكثر نجاحا من جهودها السابقة للتوسط بين الفلسطينيين والإسرائيليين، حتى لو دعمت الولايات المتحدة القرار.

ورأى في تحليله المنشور على مدونته "عالم الشرق الأوسط المضطرب" إنه من غير المرجح أن تسفر الانتخابات الإسرائيلية هذا الشهر، وهي الرابعة خلال عامين، عن حكومة تتمتع بالاستقرار والتماسك والاستعداد للتفاوض على صفقة تلبي الحد الأدنى من التطلعات الفلسطينية.